سيمولوجيـــــا الإشــراق

أ. مبارك فضيلة
جامعة بن خلدون- تيارت-
الجزائر

ملخص:

لقد أصل السهروردي لمشروع اشراقي كبير تمثل في حكمة الاشراق وظهرت براعته اكثر في مجال الشعر والقصص والحكايات التي مارس فيها الرمز والتأويل فانتقل من الرمز الصوفي الى الرمز الفلسفي فهو يقول لا مرد على الرمز والذي يريد لن يفهمه عليه الخوض في غمار التجربة الروحية الصوفية وبالفعل جمع السهروردي بين التصوف والفلسفة مؤلفا ما يسمى بالحكمة اللدنية التي تجمع بين الذوق والبحث بين العمل والنظر.

الكلمات المفتاحية: حكمة الاشراق/الرمز الصوفي /الرمز الفلسفي/ الذوق/البحث/ الرمز/ التاويل

Sémiologie de l'illuminisme:

Le grand projet d' ElSahrourdi a été mis en exergu notamment a travers les textes poétiques et autres historielles et nouvelles et dans lesquels le symbole et l'interprétation ont occupé une place importante, Sa recherche oscilla entre les symboles soufi puis philosophique.

Selon lui le recours au symbole lequel exige que l'on s'aventure dans l'esprit soufie.

Effectivement el sahrourdi a allié le soufisme et philosophie dans un ouvrage englobant l'idée de sagesse, goût, recherche.

Les mot clé: Le symbole/linterpretation/soufisme/gout/recherche/le symbole philosophique

مقدمة:

إنّ النّقلة النوعية التّي عرفها العرب بمجيء الإسلام انعكس إيجابا على نمط التفكير فازدهرت حركة الترجمة ووقّعت شهادة ميلاد الفلسفة الإسلامية وعبّرت عن خصوصية التفكير عند العرب خصوصا مع ما يعرف بعلم الكلام والفلسفة الإشراقية التي مثّلت عبقرية المسلمين مع الفيلسوف الإشراقي شهاب الدين السهروردي المقتول الذي اختلف في نسبة هذه الفلسفة الإشراقية إليه أو إلى الشيخ الرئيس ابن سينا وحسم الصراع بترجيح كفّة الإشراق له ومزج التصوف بالفلسفة الذي أثبت عبقريته الفكرية ورغم صغر سنه ألّف العديد من الكتب أهمّها حكمة الإشراق والمقاومات وهياكل النور وغيرها وهي مؤلّفات عالجت العديد من القضايا والإشكاليات الفلسفية أهمّها نظرية الفيض والصدور، فلسفة النور، الأبعاد الرمزية لقصصه مثل أصوات أجنحة جبرائيل وقصة الغربة الغربية.

إنّ شخصية السهروردي ظلت مغمورة ولم يعطوها إهتماما يليق بها وما نعرفه عنه من خلال المستشرق الفرنسي هنري كوربان الذي اعتنى عناية فائقة به فكتب له وترجم قصصه، إنّ السهروردي اتّخذ طريق التصوف منحى له من اجل الفهم الكوسمولوجي للكون الذي يدعمه الفهم اللوغوسي بغية التأصيل لمشكلة المعرفة بعيدا عن العلم وإنما بوسيلة أكثر إثارة لتبرير مشروعية الفضول المعرفي للإنسان، إنّها المعرفة الصوفية التي تجاوزت حدود العقل والعلم إلى القلب والبصيرة أو إلى ما يعرف بالإلهام متّبعا في ذلك منهجا متميزا يتماشى والروح العارفة، إنّه المنهج

الذوقي الذي وجد في القصص الرمزية ما يعبر عن كنهه وجوهره بل على طوالعه وإن الطريق الصوفي خليته الأساسية التي ينشط فيها هي القصص الرمزية المرصعة بشطحات الكشف والمشاهدة والتجلي ومن هنا وجب أن نتساءل: ما هي قيمة الرمز المعرفية ؟ ما هي مبررات اللجوء للغة الرمزية؟أين تظهر رمزية السهروردي في قصصه أم في فلسفته؟

التحليل:

1/ من الفيلولوجيا إلى السيمولوجيا:

يسعى الإنسان للتميز عن غيره من بني جنسه فيبدع في العلم والمعرفة ويصل إلى نتائج تخدم البشرية، غير أن المعرفة الصوفية معرفة فريدة من نوعها تتطلب تضافر كل القوى العقلية والمجامع الشعورية لأنها مبنية على أساس الامتزاج الصوفي والفلسفي والمؤاخاة بين العقل والقلب، فالصوفي بعد التجربة الروحية التي يعيشها والتخلية عن كل الشهوات وبعد المرتبة التي يصل إليها نتيجة الحب الإلهي يعجز باستخدام اللغة العادية عن التعبير عن مشاعره القلبية حيال الذات العليا الله، إن الحب الصوفي يتطلب لغة خاصة، إنها اللغة الرمزية: « تعد الرمزية وهي اللغة المتصوفة احد الخصائص المشتركة للتصوف الإنساني وتجد في مصادر التصوف العربي الإسلامي ثروة نظرية كبيرة في تناول هذا الموضوع.»[1]

إذن إذا كان العالم يتخذ من التجربة العلمية وسيلة للكشف عن الظاهرة العلمية والوصول إلى القانون العلمي، فان المتصوف وترفعه عن الحس والعقل فيكون الخيال والوجدان من يكشف عن حقيقة التجربة الصوفية فاللغة العادية لغة قاصرة، إضافة إلى ممارسة التخفي عن عوام الناس وتجنبا لاتهامات التي توجه له عند فنائه في محبوبه وفي مشاهدة: « شروق الأنوار على النفس بحيث ينقطع منازعة الوهم.»[2]

إن مبرر التوظيف الرمزي الصوفي هو الحالة الوجدانية التي يعيشها بعد التحلية والتجلية والتخلية.

يعود السبب الرئيس للسهروردي في استعماله للرمز هو تأثره بشيخ الرئيس في قصة حي ابن يقظان حيث يقر السهروردي بان قصة حي ابن يقظان تمثل مرجعية له حيث انتهى ابن سينا، بدأ السهروردي في قصة مرصعة بالرموز تحكي قصة عارف يسعى لبلوغ الحقيقة المطلقة: « فاني لما رأيت قصة حي بن يقظان صادفتها مع ما فيها من عجايب الكلمات الروحانية والإشارات العميقة متعرية من تلويحات تشير إلى الطور الأعظم الذي هو...المخزونة في الكبت الإلهية المستودعة في رموز الحكماء.»[3]

إن السهروردي يؤكد على أن للصوفي مقامات فهو صاحب مكاشفات وتجليات، فبعد تذوقه الروحي للمعرفة التي تميزه عن نوع المعارف الأخرى لاقترانها من الإشراق والنور فهي إحياء للخميرة المقدسة حكمة فارس القديمة، فالعالم الروحاني له أصحابه وهم الحكماء المتألهين فهم من يقفون عنده: « ولكنه يقف عند العالم الروحاني، لاسيما عند الموجود الأول فيثبته دون أن يدركه إلا إذا كان الحكيم صاحب حدس وإشراق، فيدرك ولكنه يعجز عن التعبير فيلجأ إلى الرمز أو يلوذ بالسكوت.»[4]

إن الرمز لا يناسب أصحاب حكمة الإشراق حيث يتخذونه وسيلة لوصف حالتهم الصوفية فعلمهم علما حضوريا وليس تصوريا مثلما هو الحال في الفلسفة اليونانية.

لقد أصّل السهروردي وأسّس خطابا صوفيا وفلسفيا خاصا به يمثل تراثا نفتخر به في مجال الفلسفة الإسلامية عموما والفلسفة الاشراقية خصوصا لقد سعى السهروردي إلى الترقي الى العوالم العلوية النورانية مؤسسا لحكمة الإشراق أو ما يعرف بالحكمة اللدنية ولكي يتميز عن الحكمة البحثية التي هي من اختصاص المدرسة المشائية الإسلامية بزعامة ابن سينا.

إضافة إلى ذلك فلقد نظم الشعر وله قصيدة معروفة بوصف العالم العلوي تعرف بـ: «أبدا تحن لكم الأرواح» فهو بارز في الساحة الأدبية بالشعر الصوفي منها مسرحية سيد الوقت والقصص التي تعلمنا عنها مثل أصوات أجنحة جبرائيل وقصة الغربة الغربية: « وقصة السهروردي التي أعاد فيها صياغة قصة ابن سينا، تعد واحدة من أروع نصوص التراث العربي الإسلامي...إلا أن

رمزيتها الشديدة وكثافة التضمين القرآني فيها جديران بتوليد المزيد من المعاني...بمعانيها الدقيقة.»[5]

إن تعدد المرجعية الفكرية للسهروردي من قرآنية تمثلت في الآيات وخصوصا سورة النور التي تأثر بها وسمى فلسفته بفلسفة النور والمرجعية الإسلامية المتمثلة في ابن سينا والغزالي واليونانية المتمثلة في أفلاطون والفارسية في هرمس وزرادشت جعلته يستفيد من تجربة الحفاظ على التراث بكتبه وقصصه فكانت قصة الغربة العربية البداية الحقيقية لاستعمال الرمز وتأويلاته والتي استمدها من ابن سينا ولهم نقطة مشتركة تمثلت في اعتبار الصوفي هو: « العارف والمعروف والمعرفة وهو العالم والمعلوم والعلم.»[6]

وبالتالي يستوجب إبداع لغة خاصة لهذه المعرفة الراقية، « إن اللغة الصوفية التي هي رمزية مجازية وذات دلالات كثيرة، قابلة لأكثر من تأويل...فتصبح لكل مفردة دلالة ولكل جملة حجة.»[7]

إن النص الصوفي وترميزه مفتوح على عدة معاني كثيرة مما يجعل الخطاب الصوفي خطابا إبداعيا مفتوحا على الآخر لذلك تمثلت السيمولوجيا الإشرافية عند السهروردي بخدمة الفلسفة للتصوف والمنطق للشعر تحت منظومة اشراقية لها ترسيماتها الخاصة من مقولات نور الأنوار وقاعدة الأشرف والأخس...الخ.

2/ التأويل ضرورة في التجربة الصوفية:

إن التجربة الصوفية لها بعد روحي وتقتضي التأويل لأنها تتعامل مع ألغاز كثيرة منها ما ينظر للنظرية الكشف والذوق والاتحاد، لأن التعالي عن العالم المحسوس يلزم لغة خاصة ليست من اختصاص العوام وإنما هي لغة التصوف والمتصوفة: « أما التأويل فمشروع على كل احتمال إذا الرمز خفاء وظهور معا بل لكأن الرمز يتأبى عن التدبر والضبط ولذا بدت مرونته...غير أن اللغة أسعفت الأنفين وأبانت عن معانيهم وفي مقابل ذلك خذلتها وحجبتها، بل مسختها.»[8]

إن البنية الصوفية المنسجمة التي يعبر عنها الصوفي بعد تجربة قاسية ما هي إلا عمل الصوفي في المتمكن بل هي الكفاءة العالية التي تحمل جملة من الرموز والعلامات أو ما يعرف السيمائية الصوفية أو التجربة الصوفية الرمزية: « إذن عملية تأويلية تحاول أن ترتفع بواقع حركية اللغة بتلك التعريفات الواردة عن طريق مجموعة من الذوات...بان ترقى باحتمالاتها وهي تتعامل مع المعطى المعرفي إلى مستوى اليقين.»[9]

إن العواطف المختلجة وحالة الوجد والجذب التي يعيشها الصوفي المحب لمكاشفته، وأن بلوغ المتصوف لغاياته وأهدافه الوجدانية والفلسفية والعرفانية والأخلاقية التي عالجها الصوفي لان في نهاية المطاف التجربة الصوفية ليست عرفانية ذات بعد معرفي أخلاقي بل الأمر يتجاوز ذلك إلى الأبعاد الجمالية وحتى الفلسفية لذلك تعتبر تجربة السهروردي نموذجا يحتذى به في إشكالية التأويل الرمزي في القصص الرمزية الصوفية.

3/من الرمز الصوفي الى الرمز الفلسفي:

من أجل الفهم الصحيح لإشكالية التأويل الفلسفي للرمز الصوفي نكتف بقصة السهروردي الموسومة بأصوات أجنحة جبرائيل حيث يظهر البعد الفلسفي جليا لذلك يمكننا القول: « إن للرمز معاني ودلالات مختلفة...ذلك بالنسبة لمواضيع أخرى طرقها كثيرا في ثنايا فلسفته كالجمال والنفس والمجتمع.»[10]

قبل الكلام عن التصوف لابد أن نميز بين الكشف التأويلي الصوفي والتأويل العقلي الفلسفي فهناك دائرة الفلسفة والعقل والبحث وهناك دائرة التصوف والذوق وهو حال السهروردي المقتول وابن عربي: « إن التأويل الصوفي، الكشف العرفاني يعتبر اشرف العلوم على الإطلاق عند ابن عربي لأنه المنهج القادر على إخراج المعرفة الإنسانية من حدودها العقلية والحسية وإلحاقها بآفاق لا حدود لها .»[11]

إن السهرودي يعتبر أحسن من مثّل التصوف الفلسفي في الفلسفة الإسلامية لذلك مزج بين العقل والذوق، وبين الحكمة البحثية والحكمة الذوقية: « ويلحق بهذا الأسلوب ما سلكه الفلاسفة

في التعبير لشرح آرائهم وفلسفتهم بالقصص والحكايات والرؤى المرموزة ...إذ يبدو لنا أقوى هذه التفريعات الرمزية والصقها بالبيان الجميل والفكر الأصيل.»[12]

إن الرؤية الرمزية تفهم انطلاقا من التأويل لكن الوقوف عند التأويل يحيلنا إلى براعة وكفاءة المتؤول والمؤول في حد ذاته: « للتأويل ثلاثة جوانب التأويل ...ولكن التأويل هو ثالثا تأويل المتكلم لأن كل متكلم هو أول مؤول لكلامه ويمكن على هذا الأساس اعتبار الحمل على المعنى تأويلا.»[13]

4/ التأصيل للمنهج الذوقي والانتقال من الميتودولوجيا الى الكسمولوجيا :

إن السهروردي في تأصيله للميتودولوجيا الصوفية يتجاوز المجازات والخيالات فهو يسمو إلى تعليم روحي بل أصّل لحكمة تخص الشرق كونه تشرق فيه الأنوار فهو مصدر المعارف، فالعارف لابد أن يدرك ويعرف أن ما يحصل له هو الحقيقة وهو الحدث الصوفي الحقيقي:« والقضية الكبرى التي تشغل العرفاني (المشرقي) هي أن يعرف كيف يمكن للغريب أن يعود إلى حماه، فالحكيم الإلهي الإشراقي لا يفصل ولا يعزل البحث الفلسفي عن التحقيق الروحي .»[14]

لقد طرح السهروردي مسالة في غاية الأهمية تمثلت في ما يعرف بالحكيم المتأله الذي هو متوغل في البحث والتأله معا وهذا ما جعل فلسفته تمتاز بالبعد الابستيمولوجي والعرفاني وتكلم على ما يسمى بالقطب الصوفي فهو القادر على تربية المريد في طريقه الصوفي وهو المؤهل لمطالعة الرسائل الرمزية وهو الذي ينبه المريد على مواصلة جهده لكي يكشف الأنوار وله القدرة على التأويل : « من حيث هو إرجاع صور الأوضاع الشرعية إلى مالها والمعاني التي هي لها، وكشف تلك الحقائق من تحت تلك الصور.»[15]

إن فلسفة السهروردي ذات طابع كوني شمولي في مبحث الأخلاق والقيم والوجود والمعرفة لذلك جعل شرطا أساسيا لمن يريد أن يكون حكيما: « وأول الشروع في الحكمة الانسلاخ عن الدنيا وأوسطه مشاهدة الأنوار الإلهية وأخره لانهاية له وسميت هذا الكتاب المشارع والمطارحات»[16]

إن السهروردي برع في العلوم الإلهية وهي التي منحته البعد الكوسمولوجي فهي مبنية على الحكمة الذوقية التي تمتد بجذورها إلى أفلاطون إنه يطمح إلى السعادة وكسب مفاتيحها ويكون بمعرفة قوانين حكمة الإشراق ومعرفة تفكيك الغربة الغربية التي هي ليست مجرد قصة تشبه قصة حي بن يقظان عند ابن سينا وإنما هي : « بحثا رمزيا في المعرفة الإنسانية.»[17]

يعرض في قصصه الرمزية رحلة شاقة يصور فيها الشوق الدائم إلى العالم العلوي والوصول الفعلي إليه بالتخلص من قيود الهيولى ويرمز لبلاد المغرب بالظلام واللانور:« انك متخلص من الآخر إلى جنابنا تاركا للبلاد الغربية بأسرها مطلقا ففرحت..... نجانا الله تعالى من قيود الهيولى والطبيعة .»[18]

لقد قدم لنا السهروردي حكمته الاشراقية التي صنعها بتعدد المناهل وتظهر كذلك إبداعيته في رسائله الصوفية وما تحتويه من دلالات وأبعاد رمزية وكونية:" وتحفل هذه القصص والرسائل بالرموز التي يشيرها إلى العقول والملائكة والنفس واختلافهما عن البدن وعن العالم المحسوس الذي يشبهه بالظلمة والعدم ."[19]

يعني ذلك أن تعلم المبادئ التي تخص الحياة الصوفية تستلزم سعة الاطلاع بالحكمة الاشراقية وكل كلمة وكل جملة إلا ولها دلالات تعبر عنها :" أما الشيخ الحكيم فليس شيئا آخر غير العقل الفعال كما يقول الدكتور بدوي ومن الرموز التي يستخدمها فيها قوله إن هذا الحكيم علمه علم الخياطة والمقصود هو تركيب الصورة في الهيولى."[20]

إن التعمق في الفلسفة الإشراقية من حيث موضوعها ومنهجها يجعلنا نقول أن السهروردي كريزما تستحق لقب الشيخ الشهيد لأن فلسفته عبارة عن تجارب روحية وتأملات فلسفية وقصائد شعرية وقصص رمزية وكلها لا تخلو من طابع الشمولية والكونية، والسهروردي رغم صغر سنه إلا أنه أعطى للفلسفة الإسلامية صورة جعلت منها موضوعا للتراث في الوقت الحالي ومادة دسمة للغرب لدراسة التصوف الإسلامي خصوصا في تياره الغنوصي إن فلسفة السهروردي حقا أصّلت لفلسفة التأويل في الفكر العربي الإسلامي.

5/السهروردي بين المشائية والإشراقية:

إن فهم المنظومة الإشراقية السهروردية بحكم أنها نسق فلسفي صوفي يحتم علينا فهم مرجعيته الفكرية والقرآنية والاطلاع على مؤلفاته الأساسية فهو: «اعتمد في بناء فلسفته الإشراقية على القران الكريم وخصوصا سورة النور ...على أنها إلهين كما تعامل معها كفرة المجوس ولكن على أساس أنهما وجود وعدم وجود.»[21]

إن السهروردي صاحب مشروع معرفي يهدف إلى تأسيس وتأصيل فلسفة صوفية ركيزتها التوفيق بين التجربة الروحية والذوقية والحكمة البحثية أي بين العمل والنظر وتمييزه يظهر في:« إن الإشراق هو مصدر الحكمة المشرقية وأنه يتضمن ظهور الموجود أي تأسيس وجوده وهذا الظهور عملية إدراكية ..إلى مشرق المعقولات الخالصة.»[22]

إن هذا يؤكد نقطة مشتركة بين السهروردي وابن طفيل ألا وهي أن الفلسفة لا تخالف الشرع وأن العقل والقلب متفقان في فهم الفلسفة الإشراقية :« فكأن ابن طفيل أراد أن يعرض الحكمة المشرقية... وأن ظاهر الشرع لابد منه للناس اللذين ليسوا أصحاب فطر فائقة وأذهان ثاقبة ونفوس حازمة.»[23]

لقد امتاز فكر السهروردي بازدواجيته بين الإشراقية والمشائية :« ففلسفة السهروردي هي الجانب الإشراقي البحت من المشائية الإسلامية ومحاولة الوقوف ضد ابن سينا كثيرا...لفكرتي الفيض والنور كأساسيين للبناء الوجود عنده .»[24]

لقد خالف السهروردي ابن سينا في الكثير من المسائل المنطقية وحتى الصوفية ونقده على مستوى التصوف الفلسفي ذو البعد الإشراقي بان ابن سينا لم يعش تجربة صوفية محضة بخلاف السهروردي الذي لقي حتفا ومصيرا مخزيا عند كشف آرائه الباطنية :«...وإذا كانت السياسة بيده كان الزمان نوريا وإذا خلا الزمان عن تدبير الهي كانت الظلمات غالبة.»[25]

إن تعليقنا على هذا النص يحيلنا أول ما يحيلنا على أن السهروردي وتقديمه للنظرية في المعرفة لها بعدا سياسيا لا يكون إلا ضمن تجربة صوفية حية حقيقية مارست فعل السفر الروحي

أو ما يعرف في اصطلاحات المتصوفة بالعروج الصوفي الذي يرتبط ارتباطا كبيرا بالخيال :« وهكذا يغدو الخيال الصوفي عن المعارج منطويا على آليات تأويلية تسمح ...من أسرار الكتابة انطلاقا من تجارب أخرى.»[26]

6/نظرية التاويل عند السهروردي من خلال رسالة في حالة الطفولة:

العشق الإلهي حتم على السهروردي التأليف في التصوف واستخدام الرمز الصوفي وحتى الفلسفي للتعبير عن عمق تجربة روحية خالصة متخذا من الرمز والخيال وحتى الأسطورة أسلوبا ومنهجا له دون أن ننسى لجوئه إلى القرآن الكريم لدعم نظرته الصوفية:« وهكذا كانت الرؤية الصوفية...لن يكون إلا خلال الرمز والأساطير والحكايات، اعني من خلال التعبير اللامباشر الذي يتخذ صورة الحكاية والحوار ومن هنا كانت اللغة المستخدمة في هذه الرسالة وغيرها من الرسائل ...لغة تلميحية لا تصريحية.»[27]

إن سلك الطريق يتطلب التخلص من الشهوات وترويض النفس على الصعود في سلم الموجودات لبلوغ أقصى درجة الإشراقي وهو الحكيم المتأله الذي يجمع بين البحث والذوق فمن البديهي أن الإقرار بضرورة الرمز لتفادي الوقوع في عدم فهم الحقيقة الصوفية ويمكننا إجمال ضرورة الرمز في« وذلك يتسق بالضرورة مع كون النزعة الصوفية هي دعوة إلى أعماق النفس لا دعوة إلى الرؤى العقلية الخالصة ...ولذا فإننا مدعوون من الآن إلى النفاذ نحو باطنها عبر الذوق وشحذ الرؤى ...ليعلمه من خلال الرمز واجبات الطريق وحقائقه.»[28]

في هذه الرسالة الصوفية يظهر بوضوح التأصيل لنظرية الرمز والتأويل الصوفي إنه يؤكد على أهمية الرمز وقيمته المعرفية فهو يصرح بأنه لا مرد على الرمز لأنه يوحي بحقائق لا يعلمها إلا أصحابها وهم العارفون ويشبه العارف بالطفل الذي يطمح لمعرفة كل شيء فالسالك ضمان لبلوغ المعرفة الصوفية التي تجمع بين القلب والعقل فهو تواق إليها رغم أن طريقه محفوف بالكدروات فالسهروردي يرمز للمعرفة الصوفية وكيفية بلوغها ويرمز للطفل بالمكابد فنحن نعيش في هذا الكون المليء بالألغاز ونسعى للتعلم الدائم غير أن هناك نوع من التعلم الخاص الذي

يغذي الروح والكيان الوجداني الذاتي :« إن الحكمة التي تعبر عن روح الطريق، هي التي يمكن أن تلخصها ببساطة في أن لكل مقام مقال والتصريح بكنه الحقيقة في وسط لا يتعايش إلا مع ظواهر الأشياء خطأ ذلك أن كلمات الحق لا تتصرف إلا إلى أهلها، أهل التعايش والتجرد عن الأهواء اللذين يشتغلون وجدا وحبا، وبهذا الوجد يستطيعون النفاذ إلى إشارات الحقيقة في أحاديث ...ولذا فان شرط الفهم عندهم هو اختراق القلب بنار المحبة ومن ثم كان الفاقد لهذا التوقد القلبي بالوجد محروم من رؤية الحقيقة وهو ماعبر عنه قول الشيخ المعلم.»[29]

إن هروب المتصوفة إلى الرمز له ما يبرره من الناحية السياسية والفقهية فالسهروردي رغم توظيفه للرمز إلا انه قتل واتهم بالكفر خصوصا في المناظرة التي جرت بينه وبين الفقهاء:« لقي الصوفية عنتا كبيرا من السياسة بإيعاز من الفقهاء فيكفي أن يصدر هؤلاء فتوى ضد أحد الصوفية لأن يسجن أو يقتل أو يصلب ومرجع ذلك إلى اختلاف الفقهاء مع الصوفية في منهج المعرفة.»[30]

فالرمز الصوفي يناشد لغة مختلفة بحكم لحظة الانجذاب والتجلي، التي يعيشها وكذلك تعدد المعاني في الكلمة الواحدة: « إن الكلمة الواحدة قد يكون لها معنيين مختلفين، أو بتعبير آخر أكثر دقة قد تكون هناك كلمتان تشتركان في نفس العلاقة الصوتية الواحدة مثل كلمة like = يحب يشبه.»[31]

إن المشاهدة والإشراق نظرية صوفية تعبر عن رؤية الله في القلب يعني بنور القلب نتيجة قذف المعرفة في قلوبهم من نور الأنوار :« وليس النور الإلهي في قلب العبد وسيلة لمشاهدة الله وحسب بل هو النور الذي يهتدي به العبد إلى ما هو خير وحق وجميل في أمور دينه ودنياه ولهذا يقول بعض الصوفية أن من عصى قلبه فقد عصى ربه وذلك لأن القلب عند الصوفية مركز اشراق ومركز عرفان معا .»[32]

إن فلسفة السهروردي فلسفة لها أبعاد رمزية ووجودية وميتافيزيقية تميزت عن المدراس الفلسفية الأخرى مثل المشائية، العرفانية، الكلامية والحكمة المتعالية بصبغة الإشراق الرمزي الذي

يتلاءم مع المفاهيم التالية :الكشف والمشاهدة والمجاهدة فوجد ملاذا في الرمز والارتقاء بأفكاره وفلسفته ضمن فلسفة تأويلية لا يفهمها إلا من خاض غمارها وتذوقها فعلا وما قاله السهروردي ينطبق على نفسه لأن الحكيم المتأله الذي يزاوج بين الذوق والبحث لابد من أن يعاني ويتألم وهذه المعاناة الروحية والآلام القهرية لا ينبغي أن نعبر عنها بلغة بسيطة واضحة وإنما لابد من الإرتقاء بها إلى سلم الرمز ومجالاته التأويلية بل إلى ابعد الحدود إلى ما يسمى بفهم الفهم.

يؤكد السهروردي على أن حكمة الإشراق هي إحياء وإعادة بعث حكمة فارس التي كانت مرموقة ومرموزة فهو يقول: « لا رد على الرمز وذلك لتوقف الرد على فهم المراد لكن المراد وهو باطن الرمز غير مفهوم والمفهوم هو ظاهره غير مراد فالرد يكون على ظاهر أقاويلهم غير المرادة دون المقاصد المرادة فلهذا لا يتوجه الرد على الرمز.»[33]

7/الحكيم المتأله وطريقه نحو الشجرة الإلهية:

إن التأسيس لعلم حضوري شهودي اتصالي مجاله فلسفة النور وهنا العارف قبل بلوغ درجة الحكيم المتأله يتراوح بين النور واللانور وفق قاعدة أساسية هي قاعدة الأشرف والأخس فصعودا وترقيا يكون مجال الشهود والتجلي وتتحق صفة الحكيم المتاله ووفق قاعدة الاخس هبوطا ونزولا يكون الظلام والفساد: « وفي الجملة الحكيم المتأله هو الذي يصير بدنه كقميص يخلعه تارة ويلبسه أخرى ولا يعد الإنسان في الحكماء ما لم يطلع على الخميرة المقدسة وما لم يخلع ويلبس فان شاء عرج إلى النور وإن شاء ظهر في أي صورة أراد»[34]

إن الشجرة الإلهية مفهوم رمزي يعبر عن شجرة المعرفة الصوفية التي تدرك وتعرف عن طريق الذوق :« نعم المطية التجريد لو شرع بعده في البروز عن الستة وترك العشرة وقطع الأربعة، والتوجه إلى عالم الأحد استحق الوصول الفوز كل الفوز لإخوان التجريد إذ تجريدهم إلى نور النور التوحيد.»[35]

لقد أعطى السهروردي للرمز والتأويل مكانة كبيرة في فلسفته وهذا نتيجة تنوع أفكاره كيف لا وهو صاحب مشروع إشراقي كبير سواء في الفلسفة أو التصوف أو القصص الرمزية ففي هذه القصص يحكي فيها رحلة الروح الطويلة في عروج روحي مبني على إشراق نور القلب.

8/التأويل ممارسة اشراقية ابستيمولوجية :

إن الصوفية ومن بينهم السهروردي المقتول يرى أن الخطاب الصوفي خطابا له ظاهر وباطن لا يفهمه إلا أهل الكشف وأهل الترسانة الرمزية التي تعمد للتطبيق الرمز الصوفي بغية إعطاء الدلالة الصوفية معنى حقيقيا يعبر عنه بالتأويل :« تأثر الصوفية بفكرة الإشراقيين ...وأهل الظاهر ويسمون أنفسهم أهل كشف وأهل الحقيقة وأهل الباطن.»[36]

إن السهروردي يؤكد على ضرورة فهم الخطاب الصوفي وهذا الأمر يتعلق بالعلاقة التي تربط بين الشيخ والمريد فالشيخ هو الذي يعلم مريده أسياسيات التأويل والفهم: « فهو تحول لغة المريد حينما يطلب من مرشده أو الحكيم أن يتعلم كلام الله فيستجيب الأخير لطلبه ...أسرار علم الجفر والمراد هنا علم المعاني الباطنية التي تقوم على الرموز العددية للحروف والكلمات ...ترنيمات جناح جبرائيل.»[37]

حتى التأويل الرمزي عند السهروردي يؤصل لابستيمولوجيا السعادة الحقّة :« أي من توبيا تتأسس على الحقيقة والسعادة في أفقها الصوفي .»[38]

إن الصوفي الذي يخرج عن نطاق الرمز يخرج عن نطاق المعنى والحقيقة لذلك ارجع كل المعرفة إلى قصة رمزية عرفت بأصوات أجنحة جبرائيل وقد رصعها برموز دقيقة التي لها دلالات عند أهل التصوف والإشراق.

9/حفيف أجنحة جبرائيل وتأويلاتها الابستيمولوجية:

تمثل قصة أصوات أجنحة جبرائيل للسهروردي من أروع القصص الرمزية التي ترسم لنا أصوات أطوار المعرفة الروحية وكيفية معرفة الله والاتصال به :« يشير رمزا إلى الرحلة الروحية

التي ابتدأها بانطلاق الروح من أسر الطبيعة (حجرة النساء...أما العالم العلوي (الروحاني) فهو مقصوده بقوله قصر أبي)»[39]

إن الدلالات الابيستمولوجية في هذه القصة تظهر في العوائق الابيستمولوجية للصوفي المتمثل في لفائف الأطفال وحجرة النساء المظلمة المبنية على الغريزة وحب الشهوة أما الابيستيمولجيا السيميولوجية تتمثل في العالم الروحي الذي يرمز له بقصر الأب كونه روض نفسه على الرياضيات:« وبشكل رمزي فان السهروردي يرى أن جبرائيل في النص هو المعادل الموضوعي لروح القدس ونتاج حفيف جناحيه هي الموجودات الكلية ...وأدبيا .»[40]

إن الحقيقة الصوفية حقيقة تفكيكية تتمييز بالخصوبة لأنها من أصل ذاتي يكابد لبلورتها في قصص رمزية ومن هنا يمكننا القول إن السهرودي له شطحات صوفية لابد الكشف عنها من خلال ثنائية المعنى والدلالة الصوفية:« يشكل النص الصوفي ظاهرة في مجمل النشاط البشري إذ تعد مدونته خروجا على انتماء النص الديني والنص الأدبي ...هذه الكتابة تفصح عن توتر دائم بين إمكانية اللغة والعالم المتجلي للصوفي .»[41]

إن هذا يحيلنا إلى القول لابد من فهم النصوص السهروردية وحتى شعره من أجل الفهم الحقيقي لمدلولاتها اللغوية والابستيمولجية والسيميولوجية بعيدا عن التعسف والإسقاطات والمقاربة التي تشوه النص الأصلي: « إنها قضية هرمنيوطقيا النصوص الصوفية التي شغلت ولا تزال تشغل الفلاسفة والمفكرين على مستوى العالم اجمع .»[42]

إن للسهروردي دلالة كذلك جمالية تعكس صيدليته المعرفية بابها وركيزتها جناح جبرائيل وفي هذا البيت يصفه: « خفض الجناح لكم وليس عليكم للصب في خفض الجناح جناح وبدت شواهد للسقام عليهم فيها لمشكل أمرهم إيضاح.»[43] إن التجربة الذاتية الصوفية للسهروردي جعلت نصوصه الشعرية تلقى نوعا من التطور لدى القارئ المعاصر وهذا راجع إلى الترسانة الرمزية التي تجعل اشعاره وقصصه غامضة تتطلب منا التحليق فيها والغوص في متونها.

الخاتمة:

ومما سبق نستنتج أن للسهروردي ثروة معرفية كبيرة تمثلت في إحياء حكمة فارس القديمة وأصل لمشروع إشراقي ذوقي يجمع فيه بين البحث والذوق في إطار منظومة فكرية وفلسفية تتكون من مفاهيم تحرك الفلسفة الإشراقية مثل الكشف والمشاهدة والتجلي وهذا يعكس تتعدد المرجعية الفكرية والفلسفية والمتمثلة في بعث حكمة زرادشت وتعاليم هرمس وتأطير الفلسفة الأفلاطونية المحدثة بأطر إسلامية وكذا المرجعية القرآنية خصوصا سورة النور التي تمثل الأساس المرجعي لفلسفته، إن الكلام عن فلسفته يتطلب ربط مشروعه الإشراقي بالقصص الرمزية التي أرسى السهروردي فيها نظرية في التأويل والرمز الصوفي ومنه نستنتج ما يلي:

- ❖ الجمع بين الذوق والنظر.
- ❖ التأصل لمفهوم التصوف الفلسفي.
- ❖ الرمز ضرورة معرفية في الخطاب الصوفي والفلسفي.
- ❖ لا مرد على الرمز في القصص الخيالية.
- ❖ الأبعاد الكونية والابيستيمولوجية للفسلفة الإشراقية .

لقد ألّف السهروردي قصصا رمزية تعكس عمقه الفلسفي وطابعه الإشراقي ولعل أهمها قصة الغربة الغربية وقصة أصوات أجنحة جبرائيل ورسالة في حالة الطفولة تسجل السبق المعرفي لما يسمى بفلسفة التأويل المعاصرة التي تنسب للغرب مع جورج غادمير وبول ريكور.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ناجي حسين جودة المعرفة الصوفية دراسة فلسفية في مشكلات المعرفة دار عمار عمان دار الجيل بيروت ط1 1992 ص 183

2. شهاب الدين السهر وردي مقامات الصوفية حق وقد وعلق إميل المعلوف دار المشرق بيروت ط2 2002 ص78.

3. الليث طالح محمد عتوم: الفلسفة الاشراقية عند السهر ورددي المقتول من خلال قصة الطريق العربية (تتتت550-587)عالم الكتب الحديث اربد الأردن ط1 2015 ص98.

4. السهر وردي:هياكل النور قد وضبط أحمد عبد الرحيم السايح توفيق على وهبة مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ط1 2009 ص123.

5. بن سينا-بن طفيل -السهر وردي -ابن النفيس-حي بن يقظان النصوص الأربعة ومبدعوها دراسة وتح يوسف زيدان دار الشروق القاهرة ط102008ص 91.

6. ابو بكر محمد بن طفيل رسالة حي بن يقظان مشوارات الجمل ط1 2007 ص89.

7. اسماء خوالدية صرعي التصوف الحلاج وعين القضاة الهمذاني والسهروردي نماذج دراسة تحليلية نقدية مقارنة تستلهم مفاهيم نظرية التقبل منشورات الاختلاف ط1 2014 ص 236."

8. اسماء خوالدية:الرمز الصوفي بين الاغراب بداهة والاغراب قصدا منشورات الضفاف ط1 2014 ص128.

9. اسماء خوالدية: الرمز الصوفي بين الاغراب بداهة والاغراب قصدا مرجع سابق ص13.

10. ابراهيم العاتي: إشكالية المنهج في دراسة الفلسفة الإسلامية قضايا إسلامية محاضرة دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيعط1 2003 ص 125.

11. محمد العدلوني الادريسي : تصوف الغرب الاسلامي مدرسة ابن عربي الصوفية ومذهبه في الوحدة دار الثقافة للنشر والتوزيع (دط) (دس) ص ص 63-64

12. عبدالكريم اليافي التعبير الصوفي ومشكلته مطبعة طربيين دمشق (دط) 1983 ص 46

13. وئام الحيزم : تاويل اللفظ والحمل على المعنى كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس (دط) 2009 ص 103

14. هنري كربان: تاريخ الفلسفة الاسلامية راجعه وقدم له موسى الصدر عويدات للنشر والطباعة بيروت لبنان ط2 1998، ص 321

15. السهروردي الاشراقي: هياكل النور قد وحق محمد علي أبو رريان دار المعرفة الجامعية بيروت (د ط) 2002 ص 104

16. شهاب الدين السهروردي: المشارع والمطارحات تح وتصح مقصود محمدي اشرف عالي بور منشورات الجمل لبنان ط1 2011 ص 6

17. كامل مصطفى الشبي: ديوان السهروردي المقتول المكتبة الوطنية للفهرسة بغداد (ردط) 2002 ص 33

18. السهروردي المقتول: تحق يوسف ايبش دار الحمراء للطباعة والنشر بيروت ط1 1990ص 07

19. أميرة حلمي مطر: الفكر الإسلامي وتراث اليونان الهيئة المصرية العامة للكتاب (دط) 2010 ص133

20. المرجع نفسه ص ص 133،134

21. ياسين الويسي: السهروردي الاشراقي ونقده للفلسفة اليونانية دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع (دط) 2007 ص 137

22. عرفان عبد الحميد فتاح: نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها دار الجيل بيروت ط1 1993ص 243

23. أبو بكر بن طفيل حي يقظان، قد وعلق البير نصري نادر دار المشرق ش م م بيروت (دط) 1986 ص 14

24. محمد جلال ابو الفتوح شرف: المذهب الاشراقي بين الفلسفة والدين في الفكر الإسلامي دار المعارف بمصر ط1 1973 ص ص 161- 162

25. موسى الموسوي: من السهروردي الى الشيرازي دار المسيرة بيروت ط1 1979ص 40

26. خالد بلقاسم: الصوفية والفراغ الكتابة عند النفري المركز الثقافي العربي لبنان ط1 2012 ،ص 307

27. شهاب الدين السهروردي شهيد الاشراق: الرسائل الصوفية رسالة في حالة الطفولة تر عادل محمود بدر دار الحوار للنشر والتوزيع دمشق ط1 2006 ص 16

28. المصدر نفسه ص 42.

29. شهاب الدين السهروردي الرسائل الصوفية تر وتع عادل محمود بدر الهيئة المصرية العامة للكتاب ط1 2007 ص 288

30. محمد يعيش: الرمز في التجربة الصوفية عوارف مجلة فكرية تعنى بالخطاب الصوفي مدار العدد جماليات الروح القول الصوفي العدد 12 2007 ص 59

31. محمد مهران رشوان وعصام زكريا جميل فلسفة اللغة دار الميسرة للنشر والتوزيع ط1 2012 ص 259

32. ابوالعلا عفيفي: التصوف الثورة الروحية في الاسلام مكتبة الأسرة القاهرة(دط) 2013 ص 291

33. عبد الرحمن بدوي :دراسات اسلامية شخصيات قليقة في الإسلام دار النهضة العربية القاهرة ط2 1964 ص 112

34. شهاب الدين السهروردي: المؤلفات الفلسفية والصوفية التلويحات العرشية كتاب المقاومات المشارع والمطارحات تح هنري كوربان منشورات الجمل لبنان ط1 2012 ص 427

35. شهاب الدين السهروردي: رسالة الأبراج واللمحات ،تح هنري كوربان داربيبلون باريس (دط) 2009 ص08

36. عبد الباسط الناشي: موسوعة التصوف دراسة تحليلية نقدية جامعة وموثوقة دار التونسية للكتاب ط1 2011 ص 32

37. شيخ الاشراق شهاب الدين يحى بن حبش بن أميرك السهروردي المقتول نصوص اشراقية ثلاث رسائل في الرؤية والمجاز تحق قاسم محمد عباس ديوان المسار للترجمة والنشر بغداد ط1 2005 ص ص 44،45

38. طيب تيزيني: التصوف العربي الإسلامي فرادة في الحضور الوجودي والاستحقاق القيمي منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب دمشق (دط) 2011 ص 123

39. يوسف زيدان دوامات التدين دار الشروق القاهرة ط2 2013 ص 296

40. المرجع نفسه ص 297

41. عامر جميل شامي الراشدي النص الصوفي دارسة تفكيكية خصوصا أبو يزيد البسطامي نموذجا عالم الكتب الحديث الأردن ط1 2014 ص 1

42. جوزيني سكاتولين: تأملات في التصوف والحوار الديني من اجل ثورة روحية متجددة تصد محمود عزب تق عمار على حسن الهيئة المصرية العامة للكتاب (دط) 2013 ص 27

43. حسين جمعة تجليات التصوف وجمالياته في الأدبين العربي والفارسي (حتى القرن الثامن الهجري دراسة فكرية أدبية نقدية سلسلة الدراسة 8) منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق د.ط 2013 ص 190.